تعليمية المفردات اللغوية في المرحلة الابتدائية

مقاربة لسانية في تثبيت الملكة الإفرادية لدى المتعلم

عبد السلام بن علية
جامعة المدية

ملخص

تسعى المنظومة التربوية من خلال تعليم اللغة وتعلمها في المراحل الأولى من التعليم نحو تقديم ثروة إفرادية تتمثل في مجموعة هامة من المفردات اللغوية للتلاميذ من شأنها أن تشكل قاعدة أساسية في بناء رصيد لغوي متكامل بشكل متدرج ، ونظرا لأهمية هذا الموضوع نحاول من خلال هذا المقال أن نعرض جانبا تحليليا يتعلق بتعليم المفردات وتعلمها في المرحلة الابتدائية خاصة السنوات الأولى وذلك باعتبار أن الملكة اللغوية والمتمثلة أساسا في قدرة المتعلم على التعبير والتواصل لا تتشكل لديه إلا بعد امتلاكه مخزونا من المفردات أو ما يعرف بالملكة الإفرادية (Compétence lexicale) .

الكلمات المفتاحية : تعليمية المفردات - الملكة الإفرادية - المتعلم - الرصيد اللغوي .

Résumé

Le système pédagogique s'efforce de donner une richesse lexicale à l'apprenant ce qui constitue une base pour construire une richesse linguistique qui se développe au fur et mesure de l'apprentissage.

Vu l'importance de ce sujet, nous allons essayer a travers cet article d'analyser l'apprentissage en considérant que la compétence lexicale est essentielle pour la maitrise de la langue, en l'occurrence ici l'arabe.

Mots clés : didactique de vocabulaire - compétence lexicale - apprenant - acquis linguistique.

Abstract

The educational system seeks through language teaching and learning in the early stages of education towards providing lexical wealth is in an important group of vocabulary for pupils would constitute a fundamental basis in the construction of an integrated language balance in a gradual , due to the importance of this issue we are trying through this article to offer an analytical aside about teaching and learning vocabulary in a private elementary school in the early years as the competency of linguistic , and mainly in the ability of the learner to expression and communication has formed for him only after owning a stock of vocabulary or what is known as (the lexical competency) .

Keywords :

vocabulary didactic - lexical competency - learner - linguistic balance .

مقدّمة

يعنى الاهتمام بتعليم اللغة العربية الفصحى في المرحلة الابتدائية - من بين ما يعنى- بالثروة اللغوية الإفرادية التي تشكل خلال مسارها التعليمي المتدرج والمتطور الرصيد اللغوي للتلاميذ الصغار لاسيما فترة السنوات الأولى من التعليم ، وذلك باعتبار أن تلك المفردات اللغوية تؤدي دورا أساسيا وفعالا في تشكيل معارف الطفل وتوسيعها وبناء تصوراته للواقع الذي يتوقف إدراكه له على تلك المفردات اللغوية الحسية منها والمجردة، بل إن ذلك الواقع سيتميز -بالتأكيد- من خلال نوع المفردات والمجالات المفهومية التي يتوقف عليها التوجيه المعرفي والفكري للطفل، فتتكون بعض خصائص توجهاته الفكرية والفنية والعلمية هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن المادة الإفرادية تشكل في جزء منها الروابط المعنوية والشكلية للعبارات اللغوية التي يتعاطاها الطفل في حياته اللغوية الأولى وبالتالي في تشكل جزء من ملكته اللغوية الأساسية.

إن الرصيد اللغوي الخاص بهذه المرحلة التعليمية هو قائمة مفتوحة من المفردات التي يفترض أن يحكمها ضابط الحاجة إلى الاستعمال في واقع الحياة والمشاهدات اليومية للطفل التي تشكل المحيط الذي يتفاعل معه، ذلك المحيط الذي يتكون من محسوسات ومدركات وتصورات يجري اكتسابها تبعا للنمو النفسي والعقلي للطفل ويتجلى ذلك دون شك في نمو النظام اللغوي للفرد، وتبعا لذلك تشكل تعليمية المفردات أهمية بالغة لا تقل عن تعليمية الجوانب اللغوية الأخرى وذلك رغم أن هذا الجانب لم يحظ بالاهتمام الذي خصت به تعليمية القواعد مثلا.

المفردات اللغوية (تحليل) :

يشير تاريخ الدراسات اللسانية الحديثة إلى أن الاهتمام بالمفردات اللغوية قد لقي حفاوة ملموسة مع ظهور الدراسات اللسانية البنوية التوزيعية التي سبقت النظريات اللسانية التوليدية، حيث عرفت أوج عزتها مع ظهور التمارين البنوية التي ركزت، من بين ما ركزت عليه، على الاستغلال على موضوع استبدال الكلمات والمفردات في العبارات المقدمة للمتعلمين, غير أن تحول الدراسات اللسانية عن هذا المنحنى إلى الاهتمام بالتراكيب والكفاءة الفطرية التوليدية لدى الإنسان مع العلاّمة نوام تشومسكي وأتباعه، قد أدى ذلك إلى إفلاس حاد في الدراسات التعليمية الإفرادية. وقد لاحظت جاكلين باستوي (Jacqueline Bastuji) (1978) ذلك، حيث أكدت على أن الجانب الإفرادي يبقى الأفقر حظا في بيداغوجية تعليم الفرنسية (Lidil. 2000 م ، ص:08).

وقد أدى ازدهار الدراسات اللسانية التوليدية والتحويلية من جهة، والدراسات النفسية المعرفية من جهة أخرى، والتظافر المطرد لمجهوداتها فيما يخص النتائج المحصل عليها بشأن تشكل الملكات اللغوية وتطورها لدى المتكلمين إلى غض النظر عن الجانب الإفرادي الذي لم يحظ بالاهتمام اللازم . غير أنه يمكن للدارس أن يلاحظ بيسر أن تطور الدراسات اللسانية المتعلقة بالخطاب وما صاحب ذلك من الاهتمام بالقراءة والفهم في إطار نظريات القراءة والتأويل إلى الاهتمام بالدلالات والمعاني التي تظهر في سياقات العبارات اللغوية، الأمر الذي حول النظر إلى الحقيقة الزئبقية للقيمة الدلالية للمفردة التي لا تتحدد إلا داخل السياق وبحسب مرجعية القارئ وخلفياته الثقافية والحضارية التي ربما ساعدته على الفهم باعتبار أن ملكة الفهم متيسرة أفضل من ملكة الإنشاء، ولذلك فإن الكفاءات التعليمية كما ترى "كالاك" أفضل في الفهم منها في توظيف المفردات واستعمالها، ذلك أن الفهم يتيسر من خلال الدلالة السياقية والمقامية في حين أن التوظيف يتطلب الانخراط

في خطاب يتولى المتعلم بنفسه إنشاءه إنشاءً (Lidil. 2000 م ، ص:20 بتصرف). مما يقتضي التفطن لذلك والتدخل في عملية التعليم لأجل تسهيل المهمة لدى المتعلم، والتكفل بها في صياغة الطريقة التعليمية.

إن العودة الملاحظة إلى اعتماد المقاربة النصية في تعليمية اللغات جعلت الجانب الإفرادي يستمد مبرر وجوده بشكل قوي، ذلك أن النص يوفر المناخ المناسب لاستعمال المفردات في مواقف تعبيرية لغوية حقيقية تعين المتعلم – القارئ على فهم تلك المفردات في المقام الأول واستعمالها فيما بعد. علما أن الاشتغال التعليمي على المفردة يوزّع المجهود التعليمي على محورين اثنين : محور تحليل البنية اللغوية للمفردة والأمر هنا متعلق بالنظام اللغوي، ومحور الدلالة التي تكتنف المفردة في السياق، والأمر هنا متعلق بالمعاني أو الخطاب وتلك مسألة يتوجب الاهتمام بها في كل منهجية تعليمية إفرادية.

وفي هذا السياق ترى "إليزابيت كلاك" أن الاشتغال التعليمي على القراءة أو إنشاء النصوص اللغوية يقتضي عدّة إفرادية خاصة لها علاقة وثقى مثلا بتمارين كالتخليص أو كشرح النص أو قراءة عمل أدبي متكامل، بينما الاشتغال التعليمي على النظام اللغوي في حد ذاته يجعل العدة الإفرادية المستعملة توظف بوصفها أداة لتحليل بنية الصيغ (الإشتقاق مثلا) والمعاني والمترادفات والمتضادات.. ،(Lidil. 2000 م ، ص: 19-20 بتصرف) ولذلك فمن الطبيعي أن يتم إدراج الدراسة الإفرادية في خضم العملية التعليمية اللغوية لا أن تعزل في تمرين خاص بها عادة ما لا يحظى بالأهمية الضرورية. وعلى كل حال فإنه إذا ما كان يبدو تعليم المفردات للمعلمين ضرورة ملحة فإنه يبقى في نظر "إ. كالاك" يعاني عجزا فادحا بسبب فقدان الوقت المخصص له دوما، وكذلك المعاناة من التجزيء ومن صعوبة إدراجه ضمن المسار الدراسي الطبيعي (Lidil. 2000 م ص: 19بتصرف)، مما يجعل أهل التعليم يجمعون في أغلبهم،

مثلما ترى "إ. كالاك" دائما، على أن كثيرا من المتعلمين يعانون من عجز فادح في الناحية الإفرادية، الأمر الذي يشكل إعاقة جدية في جميع التخصصات (Disciplines)، ويشيرون إلى الصعوبة في صياغة تعليم إفرادي لا يؤدي إلى بناء تمارين مستقاة من ممارسة شخصية للغة . تلك الممارسة الشخصية التي تجعل "الممارس – التلميذ" يبني علاقاته الخاصة باللغة، ويطوّر منظومته الإفرادية ضمن التطور العام لنظامه اللغوي، ذلك أن تعليم المفردات في نظر "كالاك" يهدف في الوقت نفسه إلى استعراض المحتويات الإفرادية وإلى تطوير القدرات الكفيلة باستعمال الصيغ والمدلولات، وبإقامة العلاقات الخاصة بذلك، وتلك قدرات ضرورية، في نظر "كالاك" لينشئ الفرد نظاما إفراديا متناسقا وقابلا للتحكم (Lidil. 2000 م ، ص:21 بتصرف). لأن المحتوى الإفرادي للفرد لا يتشكل عبر قائمة مفتوحة قابلة للزيادة الساذجة تبعا لتطور عملية التعليم والتعلم، ولكن تشير بعض الدراسات، كما تقول "كالاك" إلى أن التعلم الإفرادي يجري وفق عملية معرفية مركبة تجعل المحتوى الإفرادي يشكل نظاما مدمجا يخضع للتغير أو البناء الداخلي في العلاقات البنوية التي تشكل خصوصيات ذلك المحتوى الإفرادي وبنيته العامة الداخلية التي لا تفتأ تتطور وتتركب كلما تقدمت عملية التعلم (Lidil. 2000 م ، ص:22 بتصرف)، وفي هذا السياق يرى (فيقوتسكي)(في كتابه : Pensée et langage، نشر Messidor (1985)، ص: 238،) أن الإدراك يتطور وينمو بشكل كلي، مغيرا بنيته الداخلية وروابطه فيما بين المكونات الجزئية. لكل مرحلة من مراحل ذلك النمو، ذلك وفقا لمسار النمو النفسي للتلميذ النامي حيث يخضع تعلمه اللغوي للترميم المستمر من خلال مساره التعليمي اللغوي، إذ تتطور دلالة المفردات وتتشكل تدريجيا من خلال علاقتها بتطور عملية النضج التي يخضع لها تطور التفكير المفهومي نفسه (Lidil. 2000 م ، ص:13). وعليه فإنه من المتوجب حسب "فيقوتسكي" دائما مباشرة تعليم المفردات وفقا لفترة زمنية تأخذ

في الاعتبار نمو العلاقة القائمة فيما بين نمو كل من التفكير والمفردة والنشاط اللغوي الفردي، وعليه فليس بالإمكان انتظار تعلم سريع لكمٍّ من المفردات المبرمجة سلفا، ولكن من المجند الاشتغال على المفردة باعتبارها مكونا "للتفكير اللغوي" من خلال مجموعة تمارين تولي أهمية للتفاعل فيما بين الفكر والكلام والفعل المتأني عن ذلك الكلام (Lidil. 2000 م ، ص:24 بتصرف)، باعتبار أن اللغة تتحول إلى أفعال في عرف مستعملها، تلك الأفعال التي تجد مبرراتها في مجمل العلاقات التي تربطه بواقعه المعيش إذ عندما يشرع التلميذ في تعلم المفردات، كما ترى "كالاك" فإنه يكون في الواقع مزودا بتصور وبممارسة لغوية تميزها مجموعة من الاعتبارات التي منها الاجتماعية والفردية كعامل السن (مرحلة النمو النفسي) والمحيط الاجتماعي والشخصية، وعليه فإن تعليم المفردات في نظر "كالاك" يقتضي إذن بالضرورة ارتباط التلميذ بالكلمات بصورة أخص، وباللغة بصورة أعمّ (Lidil2000 م ، ص:21 بتصرف).

مفهوم الرّصيد اللّغوي :

- **لغة :** لقد ورد مفهوم الرّصيد في كثير من المعاجم، ومنه ما جاء في معجم الوسيط ما يلي :

الرّصيد، الرّاصد، ويقال : سبعٌ رصيد : يرصد ليثبت، وحيّة رصيد وهو الرصيد : يرصد المارّة، والرصيد : ما يبقى للمودع من المصرف من حسابه الجاري وهو اللفظ الذي استعمله الناس قديما بعد عصر الرواية (المعجم الوسيط ، ص : 305) .

- **اصطلاحا :** الرّصيد اللّغوي هو ذلك المخزون من مفردات اللّغة التي يكتسبها المتعلم باستمرار محافظا على بقائها في ذهنه سواءً بالممارسة الفعلية تارةً أو بالتحصيل المستمر تارةً أخرى.

فالرّصيد إذن هو ما يمكن إثراؤه وتزويده بما تمتلكه اللّغة باللاّمتناهي من ألفاظها عبر مختلف الأنشطة اللغوية حتى تصبح للمتعلّم طاقة أو قدرة تمكنه من الحديث أو الكتابة بشكل سليم، وفي هذا الصدد تقول "بريجيت مارين بورتا" : (إن مصطلح (Vocabulaire) الذي عرف بهذا المعنى منذ 1487 كان قد برز من اللاتينية : "Vocabulum" وأعطى للاتينية المتأخرة : "Vocabularium" ولم يصبح يحدد المعنى الحالي إلا منذ 1762، إذ صار يعنى به : مجموع الكلمات التي يمتلكها الفرد للتعبير(Lidil. 2000 م ، ص:23) حيث يتوقف هذا الأمر على مدى استيعابه لما يتلقاه من مفردات اللغة مصحوبة بمدلولاتها ومعانيها، وبذلك فإنّ نمو الحصيلة اللّغوية لدى المتعلّم تتمثل فيما يقوم به فكره من حركة وفاعلية في مجال الاختزان والتصنيف والتنبه والتّأثر والاستجابة لمختلف المثيرات والتّصور والتّجريد والاسترجاع والتحديد (أحمد محمد المعتوق ، ص : 39).

وبالتالي فإنها عميلة ذهنية في غاية التعقيد، وبذلك فإنّ العملية التعليمية داخل النّظام التربوي ليست وحدها مسؤولة عن ذلك بل يشترط في ميدان التحصيل كل أشكال الاحتكاك والتواصل التي تفرضها العلاقات الاجتماعية والإنسانية وتدعو لها الأغراض الحياتية أو المعيشية للفرد والجماعة والتي تستدعي التّخاطب واستخدام اللّغة في إطارها اللفظي ، ومن ثم فإن للرّصيد اللغوي أهمية بالغة في حياة الفرد لا تكمن في الدّور الذي تلعبه في عملية التواصل والتعايش والترابط الاجتماعي فحسب بل في فاعليته الكبيرة في اكتساب الخبرات وفي تنشيط عملية الإبداع الفكري ومن ثم في تحقيق التقدم الحضاري.

إنّ أهم ما يتميز به الرصيد اللغوي هو القلة أو الكثرة أو ما بينهما لدى المتعلم حيث يرجع هذا الأمر إلى أسباب عديدة :

- منها ما يتعلق بخصائصه الوجدانية (كالقدرات العقلية والنفسية...).

- ومنها ما يتعلق بخصائصه الفردية كالسن وما شبه ذلك .

أهداف استعمال المفردات اللغوية :

لا شك أن المفردات اللغوية في مفهومها هي عبارة عن وحدات صوتية مركبة وفق نظام صرفي خاص مما يؤهلها إلى حمل دلالات ومعاني لها تأثير مباشر في حياة الفرد، وهذا بفضل الصور الذهنية التي تصاحبها أثناء الاستعمال، وبادئ ذي بدء فإن أهم ما تقوم به المفردات في حياة الفرد أنّها تعرّفه بماهية الشيء وخصائصه وذلك بواسطة المعنى الأصلي الأساسي من جهة وكذا ما تحمله من معاني ثانوية لاحقة ومرتبطة بالمعنى الأساسي بعلاقة ما من جهة أخرى (حنفي بن عيسى .1971م، ص: 98)، كما يستعملها الفرد في هذا الوجود ليحلّل بها الواقع الذي يعيش فيه نظرا لما تحمله من معاني يترجم بها مشاعره وأحاسيسه، فهي الوسيلة الوحيدة التي تعكس تصوراته لمختلف المفاهيم من المحسوسات من البيئة التي يعيش فيها، فهو إذ ينتقي لكل مفهوم أو محسوس للكلمة التي تدل عليه، فإنه بذلك يسلط على الواقع الذي يعيشه تحليلا خاصا مبنيا على خبرته لهذا الواقع (ستيفن أولمان .1997م،ص: 07)، ففي الكلمة إذًن طاقة كامنة وقدرة خاصة لا تمتلكها وسائل التعبير الأخرى وذلك بفضل مجموعة أصواتها التي تكوّن وحدة كاملة مستقلة دالة بمفردها على معنى محدد أو كما يعبر عنه بلومفيلد (Bloomfield) بالصيغة الحرة.

فالكلمة إذًن هي الوحدة الأساسية التي تشارك مشاركة فعالة في تكوين معارف الإنسان وتجاربه وأفكاره وصوره الذهنية لما تتمتع به من قوة سحرية خارقة تؤثر في النفوس وتعدّل في السلوك بسبب ما ارتبطت به من صبغة قومية وما اكتسبته من منزلة اجتماعية تقليدية (مصطفى مندور ، ص :31) ، وكما يقول ولت ويتمان (Walt Whiteman) : (إن كل الكلمات مزودة بطاقة روحية ولا شيء أكثر روحية منها لأن خصائصها هي أدوات للسيطرة على الأشياء) (مصطفى مندور ، ص :31) .

ضوابط اختيار المحتوى الإفرادي :

تعرف المجتمعات في كل زمان ومكان تغيرات جذرية في مختلف الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية من شأنها أن تعمل على تغيير فلسفتها ومنهجها في التفكير والتعامل مع مختلف الأشياء المحيطة بها، مما تفتح لها أفاق التقدم والرقي، ومواكبة الحضارة، ولعلّ النّظام التربوي هو أول حقل تنبع منه سنّة التغيير، كونه يعكس طموحات الأمة ويكرس اختياراتها الثقافية والاجتماعية ويسعى في حركية دائمة إلى إيجاد الصيغ الملائمة لتنشئة الأجيال تنشئة اجتماعية تجعل منهم مواطنين قادرين على الاضطلاع بأدوارهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على الوجه الأكمل (المنهاج .2004، ص:02)، إن حركية النظام التربوي هذه تعمل على ضرورة الحفاظ على التراث الثقافي الوطني والقيم الدينية والاجتماعية التي تميز المجتمع من جهة، وكذا استشراف المستقبل لمستلزماته العلمية والتكنولوجية من جهة أخرى، لهذه الأسباب وغيرها، فإن اللجنة الوطنية للمناهج وبالتعاون مع لجنة التأليف للكتب المدرسية، تعمل على رصد معجم من المفردات اللغوية يخصّص للمرحلة الابتدائية من شأنها (المفردات) أن تكون وسيلة وغاية في الوقت نفسه لدعم المبادئ وترسيخها والقيم التي تعمل على تماسك وحدة أفراد المجتمع انطلاقا من التحكم في اللغة التي تتعاطاها الأمة ويرتبط بها تفكير أبنائها، وفي هذا السياق يؤكد معظم اللسانيين المحدثين وعلى رأسهم بنفنيست (Benveniste) وفيكوتسكي (Vigotsky) على الحتمية التي تميّز العلاقة القائمة بين اللغة والمجتمع، إذ أن اللغة تنطلق من المجتمع ثم تعود إليه ولا يتمثل المجتمع فقط في أولئك الأفراد المحيطين به فقط، بل هو جملة العوامل المؤثرة في شخصية الفرد سواء الإيجابية منها أو السلبية، والتي من شأنها أن تحدث أسبابا تؤدي إلى تغيير في سلوكاته، وعليه فإن الرصيد اللغوي المخصص لهذه الفئة لا يكاد يخرج

عن هذا الإطار (المجتمع) إذ أن المفردات الواجب تعلمها تتضمّن المجالات الآتي:

1. المفردات التي تعرّف بأفراد الأسرة والمدرسة والأقارب والحي وكذا ألفاظ الوسائل المادية التي يستعملها الأطفال في هذا المجال.
2. المفردات التي يتعرفون من خلالها على مختلف المرافق الاجتماعية المحيطة بهم وما تحتوي من وسائل خاصة بها.
3. المفردات التي تؤسّس عبارات التخاطب لإبداء الآراء في المواقف وتبادل التحيات أثناء المناسبات والأعياد في إطار العلاقات الاجتماعية.
4. المفردات التي تعرّف بالطبيعة والبيئة وعالم الحيوان و النبات.
5. المفردات التي تفرزها الحضارة بسبب الاختراعات والاكتشافات في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية، الثقافية و الاقتصادية.

إن المجالات السابقة الذكر تحمل -بدون شك- في طياتها ثروة إفرادية هائلة من شأنها أن تلم بحاجيات الطفل إلاّ أنه ليس من الممكن منحها لمتعلم المرحلة الابتدائية دفعة واحدة باعتبار أنّها تضم فئات عمرية مختلفة، ولكل فئة خصائص ومميزات سيكولوجية معقدة، مما يحتم على واضعي البرامج لاسيما في مجال تأليف الكتب المدرسية مراعاة هذه الخصائص، فالتغيرات البنائية الهامة في شخصية متعلم هذه المرحلة تدفع المؤلفين إلى تخصيص المفردات المناسبة وذلك بدءًا بإدراج الألفاظ التي يستعين في معرفة دلالتها بواسطة الحواس وانتهاءً بالألفاظ التي يشارك فيها عقله (ذات الطابع التجريدي)، وذلك حينما يحرز تقدما في النمو على مستويات مختلفة (جسمية، عقلية...إلخ).

طرائق تعلّم المفردات اللغوية وتعليمها :

1 - وسائل تقديم المفردات وعرضها :

نعني بتقديم المفردات اللغوية تلك الصورة أو الهيئة التي يمكن أن تظهر على إثرها الكلمة لتقدّم إلى التلاميذ في أي مرحلة من مراحل التعلم.

الطريقة الأولى:

نظرا لعدم تمكن الطفل من القراءة والكتابة في بداية المشوار التعليمي فإن المفردات اللغوية لا يمكنها أن تظهر إلا في الخطابات الشفوية كالقصص المحكية والروايات سواء من قبل المعلم أو باستعمال التسجيل الصوتي باعتباره حقيقة لغوية آتية من مصدر غير المعلم حيث تبعث النشاط وتبعد الملل عن الأذهان أو عن طريق الاستعمال المزدوج للصوت والصورة معا باعتبارهما تمثيلا يجسد الفعل اللغوي ويمكن أن يستدعي غيره من الأفعال الأخرى، وإلى جانب هذين الاستعمالين يمكن الاستعانة أيضا بالصورة الثابتة التي تعدّ منطلقا لفهم المضمون في الكلمة والعبارة والنص (سالمي عبد المجيد. مجلة الآداب واللغات 2006م ، ص:172).

الطريقة الثانية :

وهي ظهور المفردة في سياق لغوي سواء كان جملةً أو نصًا على اعتبار أن التلميذ بدأ يتعلم اللغة المكتوبة، ومفهوم السياق هذا الذي يسمى بالأجنبية (Contexte) معنى قرين الحال ويقصد به كل ما يكتنف الوحدة اللغوية من أخواتها المنتظمة في ذلك النص أو القول سواء كانت قريبة من الوحدة المعنية أم بعيدة عنها ومجموع الوحدات المنتظمة التي تحدد تلك الوحدة شكلا ووظيفة ومعنى وهي التي تنتمي إلى السياق المميز (لوصيف الطاهر.مجلة اللغات 2004 ، ص : 168).

ومثلما سلف قوله فإن وجود المفردة داخل سياق لغوي يحدد مفهومها بصفة أسهل وأسرع نظرا لوجود قرائن، فإن لم تفهم من خلال حروفها ومقاطعها فإن مضمون النص أو القصة يدفعها إلى تصور معناها .

الطريقة الثالثة :

وهي أن تظهر المفردة بعيدة عن السياق اللغوي المكتوب والخطاب الشفوي ونعني بذلك ظهورها بمفردها مكتوبة بخط ذي حجم كبير، تارة مصحوبة بصورة توضيحية وتارة أخرى بدون صورة وهذا ما نراه غالبا في كتب القراءة الموجهة للمستوى الأول من المرحلة الابتدائية ، ولعل ظهور المفردة بهذا الشكل يجعل المتعلم يحصر دائرة النظر إليها دون غيرها من الألفاظ المحيطة بها الأمر الذي يجعل -بدون شك- هذه المفردة ذات حظ أوفر من حيث قراءتها بتأن ووضوح ومن ثم تخزينها في الذهن من قبل المتعلم .

الطريقة الرابعة :

تشير بعض الدراسات إلى أن الممارسة التعليمية الإفرادية تتمحور في العموم حول نوعين من الممارسة أو الطرائق التعليمية، بحيث يمكن تسمية إحداهما بالطريقة القائمة على المناسبة أو الفرصة المتاحة "Occasionnel" والثانية تقوم على الإعداد المسبق أو البرمجة "Ponctuel". ففي الممارسة التعليمية الأولى يقتنص المعلم أية فرصة لتزويد المتعلم بالمفردات التي يحتاجها في حينها، فليس هناك برمجة مسبقة لعدد من المفردات بعينها في كل حصة، وتتمثل إيجابيات هذه الطريقة في مرونتها الكبرى المفيدة للمتعلم بشكل آني وسريع دون هدر كبير للوقت، وسرعتها، فإن دراسة نص مثلا من مجال مفهوم ما يمنح

الفرصة لاستعراض عدد من المفردات المتعلقة بهذا المجال. أما الممارسة التعليمية الإفرادية الثانية فهي تتميز بخصائص أساسية منها :

1. البرمجة المنظمة المسبقة.
2. الارتباط العضوي بالحاجات المتنوعة للمواد المتعلمة.
3. التخطيط المسبق لعدد من المفردات ذات العلاقة بالتخصص المدروس أو المجال المتعلم.
4. الارتباط بالبرنامج الرسمي وضمان الحد الأدنى للمعرفة لجماعة المتعلمين بحسب المستوى التعليمي المعنى (Lidil. 2000 م ، ص:18) .

الطريقة التكاملية :

وفي مقابل هذا تقترح "كالاك" طريقة تعليمية مكملة للمقاربتين التعليميتين الآنفتين، **المناسبتية والمبرمجة**، حيث تتموقع في أفق تعليم يركز في المقام الأول على الامتلاك المتدرج للمفردات باعتبارها نظاما من الصيغ (Formes) والمدلولات (Significations) أولى من التركيز على تعليم قائمة من المفردات المقصودة، ومن غير أن تلغى هذه الفرضية الأخيرة من التعليم بشكل مطلق، وعليه فوفقا لهذه الفرضية يتم اختيار المفردات بحسب النشاطات اللغوية الأدائية (الكلام) ولا يرتبط بمسارد إفرادية بحسب المجالات المفهومية، الأمر الذي يجعل الاختيار أكثر حرية ويمكن أن يشمل مفردات مأنوسة أو مألوفة وحتى نادرة أو اختصاصية (Spécialisés). علما أنه بإمكان المتعلمين الفهم أكثر مما يوحي بهم مستواهم التعبيري إذا ما كان المقام مواتيا لذلك (Lidil. 2000 م ، ص:20-21.بتصرف).

إن صياغة (Conception) برنامج للتعليم الإفرادي يفترض تحليلا لغويا ضروريا يكون المنطلق لبناء محتويات مناسبة للأهداف

التربوية المرسومة بينما يبقى النجاح في اكتساب ذلك المحتوى اللغوي الإفرادي، كما ترى "كالاك" يقع في مستوى آخر من الإعداد التعليمي، ذلك لأنه مرهون بمستوى المتعلم وبالكيفية التي "يتلقى بها" تلك المحتويات ويقبل بها على امتلاكها ولكي يحصل ذلك فإنه من المتوجب أن يكون المحتوى الذي قدم للتعلم والفهم قد حصل تلقيه من قبل المتعلم وأعاد تشكيله وفي الأخير تمكن من إدراجه ضمن المحتوى الإفرادي الخاص به (Lidil. 2000 م ، ص:21 بتصرف) ، الذي اعتاد توظيفه في ممارسته اللغوية المدرسية على الأقل باعتبار أن استعمال العربية في وضعنا الجزائري خصوصا والعربي عموما لا يوفر المجال المناسب للخروج بذلك إلى مجال الاستعمال اليومي الموسع إلا في حالات نادرة، غير أن حاجة التلاميذ الأطفال قد تجد تلبيتها في بعض الأنشطة والبرامج التلفزيونية الموجهة للأطفال مما يمكنهم من تنمية قدراتهم اللغوية العربية التي تقوم في الوقت نفسه على كل من التراكيب اللغوية و المفردات، ولكل منها ملكته : الملكة الإفرادية (Compétence lexicale) والملكة التركيبية (Compétence structurelle) اللتان تشكلان ما يعرف بالملكة التعبيرية التي تظل تتشكل من خلال عملية الترميم المستمرة للنقائص الملاحظة على مستوى كل من الملكتين الجزئيتين الأوليتين وفقا لآلية التخاطب المتوفرة، وفي هذا الصدد ترى "الأستاذة كالاك" أن تعليم المفردات يقع ضمن الوظيفة اللغوية الأساسية ألا وهي التبليغ، ذلك أن توظيف المفردات في الخطاب من شأنه أن يتجاوز المجال المدرسي الضيق، إلى التواصل الاجتماعي الواسع وفقا لما يتوفر من المجالات المفهومية في الممارسة التخاطبية اليومية وغني عن تذكير القول بأن المفردة تتنازعها طبيعتان : طبيعة سيميائية من حيث الدلالة وطبيعة تخاطبية من حيث المعنى، هذه الأخيرة التي كما يرى "بنفنيست" تنزل المفردة في حضن اللغة وذلك باعتبار الاستعمال (Emploi) والفعل (Action) فالمفردة تنتمي إلى اللغة وإلى الخطاب في الوقت نفسه (Emile

Benveniste . ص: 215) وعليه فمن المتوجب اعتبار المفردات كذلك في عملية تعليمها، أي النظر إلى المفردة في اللغة وإليها في الاستعمال الذي يطرح مشكلا لدى التلاميذ باعتبار أن المفردة ترتبط بمعارف التلاميذ حول النظام اللغوي وبمقام الاستعمال وبتحكمهم في آليات الخطاب.

كما لا تفوتنا الإشارة إلى أن المسح الجاد للمفردات اللغوية المناسبة للمرحلة التعليمية ولحاجات الخطاب والتعبير وكذا المستوى النفسي والمعرفي للمتعلم تعد مسألة جدية، لأن الدراسات اللغوية التعليمية في هذا الموضوع تشير إلى أنه من الصعوبات الملفتة في الغالب، في تعليم المفردات، الفقر في المفردات حتى الأكثر استعمالا منها، فضلا على عدم الدقة في استعمال الكلمات، والخلط فيما بين أقسامها : الأسماء والأفعال والصفات ولاسيما المشتقات، وفضلا على أن استثمار تعليم المفردات في القراءة وإنشاء النصوص (Production de textes) يتسم دوما بالمحدودية الشديدة، الأمر الذي يستدعي التفكير الجدي فيما يستوجب القيام به لتأسيس تعليم المفردات أقل إثارة للمشاكل وأكثر فعالية ونجاعة (Lidil. 2000 م، ص:17 بتصرف).

2 - وسائل تثبيت المفردات اللغوية وترسيخها :

2-1 وسائل تربوية

2-1-1 ممارسة التخاطب والحوار:

الحوار لون من ألوان الكلام وطريقة من طرق استخدام اللغة وممارستها، فأثناءه تزداد نسبة تسميع الكلمات التي تتلقاها الذاكرة ويزداد ترددها على الذهن ويتكرر استرجاع مجموعات كبيرة منها ربما لفترات طويلة ومستمرة، وذلك بحسب الفرص المتاحة لهذا التخاطب أو التحاور، وهذا لا يعمل فقط على تمكين الطفل من نطق هذه الكلمات نطقا سليما وإدراك ما تنتجه حروفها أو ترتبط به أصواتها من إيقاعات مختلفة التأثير وإنما يزيد أيضا من ثبات هذه الكلمات في الذاكرة

ويسهّل على مكتسبها استرجاعها من الذاكرة واستحضارها عند الحاجة إليها دون بطء مما يؤثر إيجابيا على تطور أو نمو الطلاقة اللغوية لديه، وفي هذا الصدد ترى "كالاك" أنه يتوجب تمكين المتعلمين من نشاطات لغوية توظف العلاقات الممكنة بين التعبير والمفردات المتعلمة، ومثلما ثبتته التجارب، تقول "كالاك" أن التلاميذ يفردون اعتبارات كبيرة بتجاربهم التعليمية اللغوية التي باشروها بأنفسهم في القسم، ويعتبرون اللغة ملكا خاصا بهم، ولذلك فمن المحبذ استغلال العلاقات الذاتية التي تربطهم بلغتهم وذلك بتركهم يسترسلون في حواراتهم وتجاربهم التعبيرية اللغوية الذاتية حتى يتجنبوا الوقوع في حالة "المستقبل السلبي للمعارف" دون أي تفاعل ذاتي معها من جانبهم .

2-1-2 ممارسة الكتابة :

الكتابة هي نظام سيميائي مرئي مكاني، أي يرى بالعين ويحتل حيزا في المكان (بشير حورية .2002 ، ص :28)، كما أنها تمثيل فعلي للفكرة بواسطة نظام من الرموز الخطية المتواضع عليها والتي تحيل إما إلى الأصوات وإما إلى المعاني، وهي وسيلة من وسائل التعبير عن الغرض منها التبليغ (Legendre Ronald.1993م ، ص : 427).

ومن هنا يمكن اعتبار الكتابة فرصة أوسع من الحوار لامتلاك الطفل الوقت الكافي كي يطلق العنان لفكره وخياله فيستدعي ويتذكر ويغوص في طيات الذاكرة في لحظات من التأمل أو التخيل أو الكشف من أجل العثور على ما يتناسب مع المعنى أو الفكرة المراد التعبير عنها، وهذا ما يتيح - بالتأكيد- فرصة أوسع لإنعاش عناصر عديدة من الرصيد اللغوي المختزن وهذا ما ينطبق خاصة على نشاط التعبير الكتابي.

2-1-3 ممارسة التمارين اللغوية :

تعتبر التمارين اللغوية من أبرز الأنشطة التي تعمل على تخزين المفردات اللغوية وتثبيتها خاصة إذا تعددت أشكالا وأنواعا كالمطالبة بالبحث عن معاني المفردات أو أضدادها، مما يدفع بالتلميذ إلى معرفة بعض الظواهر اللغوية كالترادف والتضاد ولو بصورة نسبية، إلى جانب تصنيف المفردات في خانات مناسبة بحسب علاقات تربطها فيما بينها مما تؤسس لديه فكرة الحقل الدلالي أو الحقل المعجمي اللذين يساعدانه على استحضار المفردات انطلاقا من هذه الآليات اللغوية، وهناك نوع آخر من التمارين وهو أن يطالب التلاميذ بتوظيف الكلمات في جمل مفيدة سواء بطريقة شفوية أو كتابية وفي مواضع متعددة، والاستعمال له بعد كبير في مسألة ترسيخ المفردات في الذاكرة بفضل إحيائها في العديد من المرات، وكما هو معروف فالكلمة لا يجب أن يتوقف اختزانها في الذاكرة وإذا اختزنت دون الاستعمال يمكن أن تنسى، فالكلمة

في القاموس هي كما يقول (جسبرسن Jespersen) :...كالعملة في البنك لها قوة التعامل ولكنها لا تمثل تعاملا بالفعل، أما الكلمة الواقعية أي في الكلام فهي عملة جارية سيارة لها نشاطها وقيمتها الواقعية (أوتو جسبرسن .1945م، ص: 19)، ولقد أولي الاهتمام البالغ لأنشطة التمارين اللغوية لاسيما ضمن الإصلاحات التربوية الجديدة وذلك باعتبارها مرتكزا بيداغوجيا من حيث أنه يسمح للمتعلم بامتلاك القدرة الكافية للممارسة الفعلية للحدث اللغوي (أحمد حساني، ص: 147).

2-2 وسائل تقنية

2-2-1 الألعاب :

ليست الألعاب اللغوية أقل شأنا من الوسائل ذات الطابع التربوي المحض في مسألة تخزين المفردات وتثبيتها (فاللعبة تؤسس مقاربة مثيرة

للاهتمام لأنها تسمح بخلق جو من التواصل ولأنها تجري حسب قوانين محترمة من كل الأطراف : كلمات تبدل في حروفها من أجل تكوين كلمة جديدة، خط، نسخ، ألغاز، كلمات متقاطعة...، هذه الكلمات مؤسسة على لذة اللعب مع اللغة، فالتلاميذ يستعملون أساليب نوعية مثل : الزحلقة المناوبة للمعنى واللامعنى، اللعب على الغموض، تعدد معاني الكلمات من خلال تقليب الأدلة اللغوية، هذا التغليب الذي تحترم فيه قوانين اللغة مع ترك الحرية لكل واحد في التصور والتخيل (Lidil. 2000م، ص:17)، ومعنى هذا كله أن الألعاب تخلق جوا من الحماس والروح الجماعية من خلال استعمال خفة اليد في تقليب المعاني وترك حرية التفكير والتخيل لدى التلاميذ مع وجوب احترام قوانين هذه الألعاب، والألعاب اللغوية سواء في اللغة العربية أو الفرنسية كثيرة ومتعددة ومتشابهة أحيانا إلا أن الهدف منها واحد وهو تعلم المفردات اللغوية وتخزينها .

2-2-2 الأناشيد والمحفوظات الشعرية والترانيم والتغني :

الأناشيد عبارة عن مقطوعات شعرية تتألف من مفردات لغوية ذات معاني خفيفة النطق، وفق نظام أو لحن موسيقي جذاب في أغلب الأحيان، مما يدفع بالمتعلم إلى حفظها بسهولة نظرا لارتباطها في كثير من الأحوال بمواقف البهجة والفرحة، وغالبا ما تؤدى الأناشيد والترانيم في مجموعات صوتية مما تخلق جو التنافس على حسن الأداء وإتقان اللحن مع الروح الجماعية التي تسودها، ناهيك عن حب الإنسان للترنم بالأصوات اللغوية والكلمات، وحتى المقاطع الغنائية التي يدفع بها عن نفسه الملل والتعب وتجديد النشاط والتغني بالكلام الجميل في أوقات العمل والراحة، ومع مرور فترات زمنية متعاقبة يجد التلميذ نفسه قد حفظ كمًّا هائلا من المفردات جرّاء ممارسته لهذا النشاط.

إن الأناشيد والمحفوظات الشعرية والترانيم ذات بعد تربوي من حيث المضمون لأنها غالبا ما تحمل موضوعا في أبياتها أو حكمة أو رسالة أو نصيحة أو حتى قصة قصيرة، إلاّ أن استعمالها من أجل حفظها وتخزينها يجعلها وسيلة ذات طابع تقني أكثر.

وعلى العموم فإنه بإمكان القول إن تعليم المفردات يعتبر مهمة حساسة جدا ذلك لأنها تقوم على العلاقة القائمة بين الفرد من جهة واللغة كنظام من جهة ثانية والكلام من جهة ثالثة، ومن المعروف أنه لا يتم اكتساب المفردات إلا بتوسل استعمالها في الخطاب اليومي، الأمر الذي يطرح مسألة تصور وصياغة المواقف التعليمية والأنشطة البيداغوجية التي تقتضي توظيف المفردات واكتسابها من خلال ابتداع الوسائل التربوية والتقنية المناسبة، وعليه فإن تعليم المفردات يظل رغم كل ذلك مسألة مثيرة للتفكير والابتداع البيداغوجي باعتبار أن ذلك يستدعي توظيف قدرات تفكير وتخيل من قبل التلاميذ الصغار، مما يفرض توسل الأنشطة التعليمية القائمة على الألعاب اللغوية المناسبة لهم، وإشراكهم في بناء تعلماتهم كمقاربة تعليمية مهمة يمكن أن تشكل أفضل الشروط للنجاح في ذلك .

خاتمة

حاولنا من خلال هذا العرض المتواضع إعطاء الأهمية للجانب الإفرادي من اللغة والخاص بتلاميذ المرحلة الابتدائية وفق مقاربة لسانية ، هذه الأخيرة التي تعتبر بمثابة المعيار الأساسي في ضبط واختيار وعرض وتقديم المفردات اللغوية المناسبة آملين أن يحظى هذا الاختصاص (تعليمية المفردات) بالاهتمام اللازم من قبل الخبراء (Pédagogues) لما له . كما رأينا . من أهمية بالغة في بناء وتشكل الملكة الإفرادية مما يستوجب تقديم العناية به قبل الخوض في تعليم التراكيب اللغوية ، ونؤكد في هذا الصدد بأن الدراسات اللغوية العربية القديمة تشهد على أن يكون الأمر

كذلك من خلال ما ورد على لسان العلامة ابن خلدون في مقدمته فيقول: (..يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها ، فيلُقَنُها أولا ، يسمع التراكيب بعدها فيلُقَنُها كذلك .) (ابن خلدون .2002 ، ص: 574) .

قائمة المصادر والمراجع :

أولا بالعربية :

1 - أحمد حساني : دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر 2000م.

2 - أحمد محمد معتوق : الحصيلة اللغوية ، أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 1996.

3 - أوتو جسبرسن : اللغة بين الفرد والمجتمع، ترجمة عبده الراجحي، محمد أيوب مكتبة الأنجلو مصر 1945م.

4 - الآداب واللغات : مجلة علمية متخصصة في الدراسات الأدبية والنقدية واللغوية تصدر سنويا عن كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر العدد01جوان 2006م.

5 - اللغات : مجلة أكاديمية متخصصة تصدر عن قسم التعليم المكثف اللغات كلية الآداب واللغات العدد 03 جامعة الجزائر.

6 - بن عيسى حنفي : محاضرات في علم النفس اللغوي-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر- 1971م .

7 - ابن خلدون : المقدمة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت 2002 .

8 - حورية بشير: المكتوب في المدرسة الأساسية الجزائرية، قسم اللغة العربية وآدابها، رسالة ماجستير جامعة الجزائر 2002م.

9 - مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، 1426هـ 2005م.

10 - مصطفى مندور: اللغة بين العقل والمغامرة، منشأة المعارف مصر 1974م.

11 - مناهج السنوات : الأولى، الثانية، الثالثة من التعليم الابتدائي اللجنة الوطنية للمناهج- مديرية التعليم الأساسي الجزائر 2003م.

12 - ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ترجمة كمال بشر دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر 1997م.

ثانيا بالفرنسية :

1- Elizabeth kalaque: Enseignement/apprentissage du vocabulaire; "Lidil" revue de linguistique, université sthendhal grenoble France n° 21 Juin- 2000.

2- Emile Benveniste: *problèmes de linguistique générale*, 2Tomes; édition Gallimard-Paris 1974.

3- Ronald Legendre: dictionnaire actuel du l'éducation. Guerin Edition 2eme édition, Paris- 1993.